

الرؤية الاستشرافية في قصيدتي "اقرأ كتابك .. أيها العربي" و"الثورة والكلاب" لمحمد الأخضر السائحي

The forward-looking vision in poems Mohammad Lakhdar Esaihi
"Read your book, O Arab" and "The Revolution and the Dogs"

ط.د. نفيسة بن عمارة

د. السعيد قرفي

جامعة الوادي (الجزائر)

benamara-nafissa@univ-eloued.dz

تاريخ القبول: 2024/06/17

تاريخ الإرسال: 2024/03/29

ملخص:

الاستشراف في الشعر هو تعبير عن قلق دائم إزاء المستقبل، هذا القلق الذي يجعل من الشاعر يصنع من منجزه شرفة يطل منها على المستقبل، وبمثل هذا القلق الشعري الذي يصنعه اتصال الحاضر بالماضي يتحقق استشراف المستقبل في بنية فنية يستجمع الخيال عناصرها من الواقع. وبمثل هذا الصنيع نجده في أعمال الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي من خلال قصيدتيه "اقرأ كتابك أيها العربي" و"الثورة والكلاب".

الكلمات المفتاحية: الاستشراف، الرؤية، الشعر الجزائري، الشعر المعاصر، السائحي.

Abstract:

Foresight in poetry is an expression of a permanent concern about the future, this concern that makes the poet make of his poetry a balcony from which he looks at the future, and with such poetic anxiety that is made by the connection of the present with the past, the future foresight is achieved in an artistic structure that imagination gathers its elements from reality. We find such favor in the works of the poet Mohammad Lakhdar Esaihi through his poems "Read your book .. O Arab" and "The Revolution and the Dogs".

keywords: Foresight, Vision, Algerian poetry, contemporary poet, contemporary Algerian poetry, Esaihi.

مقدمة:

إذا كانت رؤية الماضي في الحاضر من البديهيات والمسلمات التي تقوم عليها ركائز أي منتج، فإن رؤية الحاضر في الماضي، هي ما اصطلاح عليه بـ "استشراف المستقبل"، وذلك بطرح مجموعة من التنبؤات المشروطة في ضوء الأوضاع السياسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع. ونسعى في هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مثل هذه الاتجاه في الشعر الجزائري والبحث في دوافعه وأدواته التي حقق بها ذلك الفعل الشعري في استشرافه المستقبل، وذلك بقيامنا بدراسة تطبيقية على أنموذج شعري للشاعر الأخضر السائحي^(*).

1. مفهوم الاستشراف:

من أجل التوصل إلى تعريف مناسب لمصطلح "الاستشراف" نقف على دلالة المعجمة أولاً - حسب ما وردت في معجم لسان العرب - فالاستشراف لغة: من "تَشَرَّفَ الشيء واستشرفه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يُبْصِرَهُ وَيَسْتَبِينَهُ... وأصله من الشَّرَفَ العُلُو، كأنه ينظرُ إليه من موضع مُرتفع، فيكون أكثر لإدراكه"⁽¹⁾. واستشرف على وزن استفعل الذي "له معان أشهرها الطلب"⁽²⁾، أي طلب معرفة لما هو آت ومبهم.

وأما الدلالة الاصطلاحية: فالاستشراف حسب منى صريفق هو: "النظر وخلق صورة تعتمد على التنبؤ فيما يخص مصير أي شيء يكون بالضرورة موجوداً، وفكرة الاستشراف لا تتأتى لأي كان، بل هي رؤية دقيقة وشاملة تعتمد في الأساس على شخصية الإنسان ومدى وعيه بماضيه وحيثيات حاضره ومدى اتساع تجاربه"⁽³⁾.

ومما سبق يمكننا القول بأن الاستشراف في الأدب هو عملية تعتمد على "رؤية الغيب"⁽⁴⁾ المتمثل في عنصر التخيل، عن طريق خلق صورة للمستقبل في الحاضر، انطلاقاً من الماضي واعتماداً على معطيات دقيقة تتوفر لدى الأديب على سبيل الاستقراء. وقد لخصت منى صريفق هاته الخطوات في "معادلة بسيطة نوعاً ما ظاهرياً إلا أنها شديدة التعقيد على المستوى الباطني للكتابة [الماضي + الحاضر (وفيه تتم عملية الاستشراف) + مجموعة من العوامل المساعدة = رؤية استشرافية]"⁽⁵⁾.

2. الاستشراف في الأدب العربي:

لو تتبعنا الكتابات الاستشرافية في الأدب العربي لوجدنا لها حضورا ضعيفا - مقارنة بالأدب الغربي- في القلم والحديث، شعرا ونثرا، فنجد قديما الشاعر أبا العلاء المعري يستشرف أحوال بني إسرائيل في لزومياته، ف"كأنه يرى يومنا هذا..."⁽⁶⁾، وهو التنبؤ بواقع سيحل بالأمة العربية وذلك بقيام الكيان الصهيوني داخل الجسم العربي، كما نجد له هذه النظرة الاستشرافية في "رسالة الغفران" التي "تصور من منطلق ديني إسلامي أحوال بعض الشخصيات المعروفة في الجنة والجحيم، وهي استشراف للحياة آنذاك بعد الفناء"⁽⁷⁾.

أما في العصر الحديث، فنجد الشاعر أمل دنقل ينظر من خلال عيني زرقاء اليمامة ويتنبأ بأحوال العرب وهزيمتهم سنة 1967 قبل وقوعها ببصيرة نافذة في قصيدته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" وكذلك استشرافه لمعاهدة "كامب ديفيد" وتطبيع بعض دول العربية مع الكيان الصهيوني في قصيدته "لا تصالح". بينما قفز الشاعر سليمان الفليح على حاجز الزمن من سنة 1981 إلى 2010 في "قصيدته الأزمنة" مستشرفاً الربيع العربي الذي تنبأ به أيضا عبد الرحمان العشماوي في "قصيدته خلا لك الجو" سنة 1991. أما في الجانب السردى فلمس ذلك في رواية الحبيب المونسي (جلالته الأب الأعظم: الخطر الآتي من المستقبل) "التي يطرح فيها فكرة السيطرة السيبرانية والتقنية على الإنسان"⁽⁸⁾، وكذلك رواية عز الدين ميهوي "اعترافات أسكرام" التي تسرد مجموعة من الاعترافات ضمن زمن متخيل استشرافي سنة 2040.

ويرجع بعض النقاد والأدباء العرب قلة أدب الاستشراف أولاً، لتعلق الأديب العربي عموماً والجزائري على وجه الخصوص بماضيه أكثر من حاضره ومستقبله، مما جعل "لأدب الاستشراف في الجزائر حضوراً محتشماً"⁽⁹⁾ أو شبه منعدم، فالأديب الجزائري "مازال تستهويه فكرة الكتابة عن الماضي ومآسي هذا البلد، وأنه يخوض معارك وجودية تخص ماضيه وحاضره"⁽¹⁰⁾، كما أنه مازال يعيش على ذكر أجداده وأبائهم العظيمة. أما ثانياً فيعود إلى عدم وجود وعي كاف بأهمية هذا النوع الأدبي الذي يعتبره البعض موجهاً لقراء الخيال العلمي وصناع الأفلام، وكذلك "عدم اهتمام المؤسسات الثقافية بهذا النوع من الكتابة"⁽¹¹⁾.

وربما نظرة الخوف والتشاؤم من المستقبل، التي تمتلك الأديب العربي أثناء محاولته لكتابة رؤيته الاستشرافية تجعله يتردد ألف مرة قبل أن ترى هذه الرؤيا النور. خوف نابع من تحقق هذه الرؤيا، التي تنطلق من الماضي الأليم للواقع العربي - من احتلال وظلم واستبداد - وتنشأ في أحضان الحاضر الذي يلبسها ثوب المستقبل، اعتمادا على معطيات اجتماعية واقتصادية وسياسية يعيشها الوطن العربي.

3. استشراف المستقبل في قصيدتي "اقرأ كتابك.. أيها العربي" و"الثورة والكلاب":
نقف في قصيدتي "اقرأ كتابك.. أيها العربي" - نظمها الشاعر يوم 15 أبريل 1975 بالجزائر العاصمة - و"الثورة والكلاب" - تم نظمها في تشرت يوم 27 ديسمبر 1975 - من ديوان يحمل عنوان القصيدة الأولى "اقرأ كتابك.. أيها العربي" على الرؤية الاستشرافية للشاعر، حيث يستشرف السائحي في منتصف السبعينات ملامح من مستقبل الجزائر والوطن العربي السياسي والاجتماعي، من خلال التخيل والتصور القائم بالضرورة على الرؤيا، التي تجلت له من خلال مقارنته الماضي بالحاضر، وذكره لأسباب تفاعل في الزمن الحاضر، لتشكل نبوءة المستقبل العربي والجزائري.

يتحدث السائحي في قصيدته "اقرأ كتابك.. أيها العربي" عن الواقع الذي يعيشه مع شعبه وأتمته بعد نكسة 1967، ومن خلال هذا الواقع يستشرف مستقبل البلاد من حاضرها المرير، حيث نجد أن الشاعر قد اقتبس عنوان القصيدة من سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾⁽¹²⁾، فالشاعر في هذا المقام يطلب من الإنسان العربي أن يقرأ أعماله التي أوصلته إلى ما هو عليه اليوم، ليستحضر ماضيه الذي أسهم في بناء حاضره، ويرى بنفسه نتيجة أفعاله التي ستكون مستقبله، ليحاسب نفسه بنفسه، ويكون هو الحاكم والمحكوم في هذه القضية. وقد تكررت هذا العبارة في القصيدة عشر مرات بأشكال عدة "اقرأ كتابك يا أخي، يا ابن العرب، اقرأ كتاب الثائرين على الدجى، اقرأ كتابك أيها العربي في عصر الفضا..."⁽¹³⁾، وطلب القراءة هنا أتى على صيغة الأمر "اقرأ" ليس غرضه معرفة ما كان في الماضي، بقدر ما هو استشفاف للحاضر وأحداثه.

وقد بدأ الشاعر قصيدته من الواقع العربي بفعل أمر أيضاً في قوله:

"قِفْ أَيْهَا الْمَتَسَكِّعُ الْمَلْقَى بِدَيُّجُورِ الْفُلْكِ
فِي مُهْمَلِ الزَّمَنِ الْكَيْبِ الْمُنْحَى
زَمْنٌ يَعِيشُ - مُنْعَمًا - فِي ظِلِّهِ - عَبْدُ الْمَلِكِ
وَيُظَلُّ عَبْدُ اللَّهِ مَشْدُودًا إِلَى آلامِهِ عَبْرَ الْقُرُونِ
كَالطَّائِرِ الْمُنْفُوشِ فِي الْأَخْتَامِ فِي كُلِّ الْجُفُونِ
حَتَّى إِذَا هَبَّ النَّضَالُ عَلَى الْجُدُوعِ الْحَاكِمَةِ
سَالَتْ دِمَاءُ الذِّكْرِيَّاتِ النَّائِمَةِ
فَمَضَى الشَّهِيدُ عَلَى الشَّهِيدِ إِلَى الْحُقُوقِ الضَّائِعَةِ
مَهْمَا عَتَوْا فِي حَقِّنَا
مَهْمَا تَظَلَّ الْفَاجِعَةُ
فَطَرِيقُنَا نُحِتَ عَلَى كُلِّ الدُّرُوبِ النَّائِرَةِ
لِيَعِيشَ عَبْدُ اللَّهِ رَغَمَ جِرَاحِهِ الْمُتَنَائِرَةِ"⁽¹⁴⁾.

حيث يأمر الشاعر عبد الله - الإنسان العربي النائر - الذي ضاعت حقوقه بالوقوف ومواصلة النضال والكفاح من أجل هذه الحقوق، التي سلبها منه الاستعمار سابقا، ليواصل من هو من دمه سلبها. حقه في الحياة الكريمة بدون ذل ولا ألم. ونرى أن الشاعر أكثر من أفعال الأمر في قصيدته (اقرأ قف، اسأل، امسح، دع...) وأكد على بعضها بالتكرار أكثر من مرة (اقرأ، قف، واسأل) حيث أن صيغة الأمر تحمل دلالة "طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام"⁽¹⁵⁾، فالسائحي هنا في مقام المرشد الذي يدفع بإلحاح الإنسان العربي للوقوف وقراءة تاريخه والسؤال عن مستقبله، ليبحث عن الأسباب التي جعلته يعاني الويلات، لعله ينجو من براثنها، يقول السائحي:

"قِفْ أَيْهَا الْمَذْبُوحُ بِاسْمِ الْحَاكِمِ
قِفْ أَيْهَا الشَّعْبُ الْجَرِيحُ مِنَ الْأَسَى
أَنْتَ الَّذِي أُجْبِتَ عَبْدُ اللَّهِ فِي لَمَحِ الضِّيَا
وَتَرَكْتَهُ يَبْكِي صَدَى الْأَخْلَامِ فِي كَهْفِ الدَّجَى

وَجَعَلَتْ مِنْهُ الطَّائِرَ الْمَعْشُوقَ فِي كُلِّ الْقَرَى
وَجَعَلَتْ مِنَ الطَّائِرِ الْمُطْعُونِ فِي لَيْلِ الْخَنَا
وَبَقِيَتْ أَنْتَ الْآمِرُ الْمَأْمُورُ بِاسْمِ «الْقَائِمِ»⁽¹⁶⁾.

والغرض من ذكر هذه الأحداث، هو التمهيد لرؤيته المستقبلية للأوضاع العربية في ظل الظلم والذل والاستبداد، فالشاعر في موقف قراءة واسترجاع لتاريخ الأمة العربية، يقول:

"قِفْ يَا أَخَا الْأَدَبِ الْأَصِيلِ الثَّائِرِ
قِفْ وَاسْتَمِعْ لِلشَّاعِرِ
يَتَلَوُ فَصِيدَةً أُمّةِ الْمَاضِي بِوَجْهِ الْحَاضِرِ"⁽¹⁷⁾.

فماضي الأمة العربية مازال يُلاحقها في حاضرها، ويشكل معالم مستقبلها، دونما توقف، معالم تبدو سوداوية للوهلة الأولى، فالذل والإهانة والظلم والاستبداد مازالوا يلحقون الإنسان العربي في مستقبله، يقول السائحي:

"اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا أَخِي
وَاسْأَلْ مَعِي
عَنْ ضَيْعَةِ الْأَجْيَالِ فِي حَلَكِ الدُّجَى
لَمْ يَسْأَلُوا، أَيْنَ الْجِرَاحُ؟
فَخَبَرَةُ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عَلَى الْمَهَانَةِ تُؤْكَلُ
أَوْ فِي ظِلَالِ خَلِيَّةٍ لِلْعَرَقِ فِيهَا الْمَرْجِعُ
أَوْ لِلشُّرَابِ تُصَافُ خُدَعَتُهَا، فَمِنْ لَا يَخْدَعُ
فِي (الْنِيلِ)، فِي (بَرْدَى)،
وَفِي مَسَرَى الْفُرَاتِ إِلَى الْخَلِيجِ
وَفِي الْمُحِيطِ إِذَا تَمَازَجَ فِي الشُّعَابِ
فَهَزَّتْ الصَّخْرَاءُ رِعْدَةً جَائِعٍ لَا يَأْمَلُ"⁽¹⁸⁾.

رؤية تنبأ بها السائحي انطلاقاً من الأوضاع التي شكلت حاضره، من خيانة ونفاق وظلم، إضافة إلى الأوضاع المزرية المعاشة، وهو ما جعل أمة الآتي تعيش في جلباب الماضي يقول السائحي:

"قِفْ أَيْهَا الْمَحْمُورِ خَلْفَ السَّاتِرِ
قِفْ وَاسْتَمِعْ لِلشَّاعِرِ
يُلْقِي قَصِيدَةً أُمَّةِ الْآتِي بِوَجْهِ الْعَابِرِ
وَاقْرَأْ كِتَابَكَ أَيْهَا الْبَدْوِيِّ فِي عَصْرِ الْقَضَا
إِقْرَأْ كِتَابَكَ فِي الْمُحِيطِ إِذَا تَمَازَجَ بِالسَّيَاطِ
مِنْ السُّجُونِ هَدِيرُهُ الْمُسْتَفْجِلِ
فَعَلَى الْحَيَاةِ صُفْرَةٌ التَّرْيِيفِ، صُفْرَةٌ جُوعِكَ
الْمَفْرُوضِ فِي زَمَنِ الْأَسَى،
زَمَنِ الْوُجُوهِ الْأَفْنِعةِ،
زَمَنِ الْكَرَاسِيِّ وَالْعُرُوشِ الْمُنْفَرِعةِ،
زَمَنِ التَّنَاقُوسِ عَنْ سَيَاطِ الظَّلَامِ
زَمَنِ التَّفَقُّيِّ فِي رِغَابِ الْحَاكِمِ
زَمَنِ الصُّعُودِ إِلَى الْقَمَرِ
لَكِنَّ قَوْمِي يَحْلُمُونَ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ قَمَرٍ"⁽¹⁹⁾.

ونجد أن السائحي أكثر من استخدام أسلوب الاستفهام، لغرض "الاستخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك"⁽²⁰⁾، والهدف من ذلك هو إشراك المتلقي العربي في عملية الاستشراف، بطرحه لأسئلة إجاباتها تشكل جزءاً من مستقبله، حيث يقول السائحي:

"قِفْ أَيْهَا الْمُتَسَكِّعِ الْمَطْعُونِ فِي لَيْلِ الْحَقْبِ
وَاقْرَأْ كِتَابَكَ يَا أَخِي، يَا ابْنَ الْعَرَبِ
وَأَسْأَلْ شُهُودَكَ عَنْ جِهَادِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ الْعُصُورِ الْعَابِرَةِ
إِسْأَلْ عَنِ الْأَخْلَامِ، أَخْلَامِ الشُّعُوبِ مَدَى الْعُهُودِ الْكَافِرَةِ

وَيَظَلُّ عَبْدُ اللَّهِ مِثْلَكَ يَسْأَلُ
كَالطَّائِرِ الْمَرْفُوعِ فِي الرَّيَّاتِ يَا وَطَنَ الشُّعُوبِ الْكَادِحَةِ
وَطَنِي غُيُونِكَ تَسْأَلُ
وَالشُّؤْفُ مِنْ أَعْمَاقِنَا الظَّمْأَى يعلِّ وَيَنْهَلُ⁽²¹⁾.

إن السائحي يسأل هنا والعربي يسأل والوطن أيضا يسأل، كلهم يسألون عن المستقبل عن الأحلام التي لم تتحقق بعد وعن الحقيقة التي هم يعرفونها حق المعرفة، والتي شكلت لديهم يقينا بأن لا مجال للتخلص من رؤيتهم السوداوية لمستقبلهم سوى الثورة الثورة على الظلم والقمع والاستبداد، ثورة تنبأ بها الشاعر سنة 1975 لتحقيق على أرض الواقع نهاية 2010 بتونس الخضراء، يقول السائحي:

"قِفْ أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَرِيحُ عَلَى الْمَدَى
وَأَمْسَحْ جِرَاحَكَ بِالضُّحَى
فَالشَّمْسُ مِنْ عِرْقِ النَّضَالِ تُضِيءُ كَهْفَ الثَّائِرِ
وَالثَّوْرَةُ الْكُبْرَى تَمُدُّ إِلَيْكَ يَا شَعْبَ الْعَرَبِ يَدًا
فَاقْرَأْ كِتَابَكَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ
إِفْرَأْ (جَبْهَةَ التَّحْرِيرِ) يَا شَعْبَ الْعَرَبِ
وَدَّعِ الْمَذَاهِبَ وَالْكُتُبَ
فَكِتَابَ نُورَتِنَا عَلَى حَشَبِ الْمَشَانِقِ
رُصِّعَتْ آيَاتُهُ
وَتَصْبِيحُ عَزْمًا أُمِّي:
إِفْرَأْ كِتَابَكَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ
فَحَقِيقَتِي لَيْسَتْ سِوَى أَنْشُودَةِ الْعُمَالِ فِي غَسَقِ الضُّحَى
لَيْسَتْ سِوَى الْأَمَلِ الْكَبِيرِ عَلَى ذُرَى (الْأَوْرَاسِ) رَفِّ بَرِيقِهِ
وَسَحَابِهِ يَزُورُ لِأَرْزِ (الْمَكْمَلِ)^(**)
وَرُغُودُهُ قَصْفٌ شَدِيدٌ فِي (ظَفَارِ)^(***) لِثَوْرَةِ الْمُسْتَقْبَلِ!"⁽²²⁾.

ثورة بدأها الشباب لتمتد لباقي الشعب، ثورة العمال الذين يطالبون بحقوقهم، بحياتهم ومستقبلهم. ليتحقق بذلك أفق التوقع الشعري للسائحي الذي حاول استشراف المستقبل العربي انطلاقاً من الأوضاع والمعطيات التي شكلت ماضيه وحاضره، معلنا قيام ثورة في المستقبل على الفساد والظلم والاضطهاد.

أما في قصيدة "الثورة والكلاب" فنجد الشاعر يخصصها للحديث عن جزائر ما بعد الاستقلال، حيث يظهر عنوان هذه القصيدة متشعباً بالشحنة الإيحائية، التي تحمل في طياتها ثنائية ضدية متمثلة في (المقدس / المندس)، هذه الثنائية التي قامت عليها القصيدة من بدايتها إلى نهايتها.

وقد استهل السائحي قصيدته بمشهد واقعي درامي يتكرر بشكل دائم في حياة المواطن الجزائري، فيقول:

"لَمْ يَأْلَفْ الْأَطْمَاعُ، لَمْ يَنْسِ الْأَسَى
سَكَنَ الْقُلُوبُ قَصِيدَةَ بَقَمِ الْجِرَاحِ تُسْبِخُ
زَرْعَ الْحَنَانِ وَقَبْلَ الْأَمَالِ فِي أَفْقِ الْحُمَى
قَبْلَ انْتِثَاقِ الْفَجْرِ وَالْأَسْرَارِ.

وَإِذَا بِكَائِبَةٍ - مُوْظَفَةٍ - تُزَوِّقُ وَجْهَهَا:

بِالْأَحْمَرِ،

بِالْأَزْرَقِ،

بِالْأَسْوَدِ،

بِالْأَبْيَضِ،

بِجَمِيعِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي الْخِدَاعِ

تَقُولُ لِلْمُسْكِينِ :

- هَلْ لَكَ أَنْ تُحَبِّرَ هَذِهِ الْوَرَقَةَ؟

وَرَقَاتُهَا لَا تَنْتَهِي فَلَعِيرِهِ سَتَعِيدُهَا

لَا تَنْتَهِي وَرَقَاتُهَا

فَعَدَا، وَبَعْدَ غَدٍ، تَقُولَ لَهُ:

- أَلَمْ تَفْهَمْ بِأَنَّ جَلَالَ السُّلْطَانِ مَشْغُولٌ
- نَعَمْ ، إِنِّي فَهِمْتُ
- مَاذَا فَهِمْتَ؟
- أَلَمَوْتُ لِلْبَيْرُوقَرِاطِيَّةِ
- مَاذَا تَقُولُ؟
- لَا شَيْءَ سَيِّدِي، فَقَطْ أَتَسَاءَلُ
- عَنْ أَيِّ شَيْءٍ؟
- عَنْ رَحْمَةِ الشُّهَدَاءِ!!⁽²³⁾.

يصور لنا السائحي في هذا المقطع مشهداً درامياً ساخراً أرق كاهل الجزائريين بعد الاستقلال، ورغم توضيحاته العظيمة التي قدمها ليتحرر من ظلم وطغيان الاستعمار، إلا أنها لم تشفع له أمام بعض الممارسات التي طالته بعد الاحتلال. هذا المشهد الذي تمثل في نقطة انطلاق لنظرة السائحي الاستشرافية لمستقبل الجزائر.

وقد اعتمد السائحي على الحوار كعامل فعال في هذا المقطع، لكونه "المسؤول عن تقديم الشخصيات، والتعريف بها، وبيان الصراع الذي يدور بينهما"⁽²⁴⁾، صراع خلق فجوة بين السلطة والشعب، وقد وظف السائحي أسلوب الاستفهام (ألم تفهم، ماذا فهمت؟ ماذا تقول؟، فقط أتساءل، عن أي شيء؟) لإظهار ما في النفس من "فضول معرفي، وبوح بما في القلب من وحدات الذات وكشف عمّا في الضمير من حيرة، وإذا ما كان مخبوءاً يغتدي مكشوقاً، وإذا كان مستكيناً يمسي معرّياً"⁽²⁵⁾، استفهام صاغه السائحي ليستنكر الواقع الأليم، وينقل معاناة الشعب.

لتستمر هذه المعاناة وتجعل السائحي يؤكد تنبؤاته المستقبلية بقيام ثورة تلغي هذا الفساد، فيقول:

"وَعَلَى لَهَيْبِ أَخْرِجِ فِي قَلْبِي أَسِير
فَتُشْعِلْ أَحْسَنَاءَ - فِي دَلٍّ - دَخِينَتَهَا
مِنْ التَّبَغِ الْأُمْرِيكِيِّ

أَتَذَكَّرُ الصَّفَ الطَّوِيلَ الْمُسْتَطِيلَ أَمَامَ شُبَّانِ الْمَنَحِ
وَأَمَامَ مُسْتَشْفَى الْمَدِينَةِ
وَأَمَامَ أَرْوَاقِ الْقَضَاءِ
وَأَمَامَ أَمْكِنَةِ الْعَمَلِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَقْبَرَةُ
إِلَّا سَبِيلَ الْبَاحِثِينَ عَنِ الرَّغِيفِ الْأَسْوَدِ
إِلَّا طَرِيقُ الثَّوْرَةِ
الثَّوْرَةُ
الثَّوْرَةُ⁽²⁶⁾.

فمن المشاهد اليومية التي أصبحت جزءا من حياة المواطن الجزائري الطواير الطويلة طواير ناتجة عن تماطل وتكاسل بعض المسؤولين، جعلت من حياة هذا المواطن جحيما هذه التصرفات وغيرها جعلت السائحي يرى أن الثورة هي الحل الأنسب لإنهاء الظلم ثورة تمحي الفساد من البلاد، ثورة تكتسب شعاراتها من الثورة التحريرية الكبرى، هذه النبوءة التي ذكرها في سنة 1975 وتحققت في القرن الواحد والعشرين، يقول السائحي:

"تَمْضِي الْمَسِيرَةُ لَا تُبَالِي بِالْكَالِبِ النَّاجِحَةِ
تَمْضِي الْمَسِيرَةُ نَحْوَ أَهْدَافِ الْحَيَاةِ النَّاجِحَةِ
فَالشَّمْسُ - فِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ - لَا تَنَامُ عَلَى بَسَاطِ سَاجِدٍ
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ تَرَى نَبْتًا جَدِيدًا يُزْهَرُ
فِي (قَرْيَةٍ)

فِي مَصْنَعٍ
فِي مَكْسَبِ لِلثَّوْرَةِ الْكُبْرَى
يُوشَّحُ (جَبْهَةُ التَّحْرِيرِ) إِكْرَامًا إِلَى (الْأَحْزَارِ)⁽²⁷⁾.

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى القول: إن السائحي يستشرف المستقبل وينظر إليه بنظرات صائبة ناتجة عن استقراء عميق لمعطيات عاشها مع شعبه، نظرة لا تعني قفزه الكلي على حاجز الزمان، ففراً يخرج النص عن سياقه الذي قيل فيه، سياق الحرب الباردة والصراع بين الرأسمالية والاشتراكية في الأراضي العربية كثورة ظفار في عمان التي ورد ذكره في قصيدة "اقرأ كتابك .. أيها العربي"، فالسائحي هنا قد رسم صورة المستقبل العربي والجزائري وخلص إلى فكرة قيام ثورة بعد ضياع الحقوق وانتشار الفساد، ثورة تحمل شعار التغيير، وتستند في مضامينها على مبادئ الثورة التحريرية الجزائرية، وتضحيات الشعب، من أجل غد أفضل يراه السائحي في الأفق.

الهوامش والإحالات

(*) - شاعر جزائري، ولد يوم 1933/10/01 في تقرت، يلقب (بالسائحي الصغير) تميزا له عن ابن عمه الذي يحمل نفس اسمه ويلقب (بالسائحي الكبير)، دخل عالم الأدب والشعر أثناء دراسته في جامع الزيتونة بتونس حيث تخرج منه سنة 1956، وقد ظهرت أولى اشعاعاته الأدبية في الصحافة التونسية سنة 1953، انتسب إلى العمل الإذاعي في الجزائر سنة 1959، يعتبر من أهم رواد الشعر الغنائي وعضو مؤسس لاتحاد الكتاب والصحافيين والمترجمين في الجزائر، توفي يوم 2023/01/01 بالجزائر العاصمة.

(1) - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981، ص2242.

(2) - عبده الراجحي، التطبيق الصربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1973، ص40.

(3) - منى صريفق، عن الأدب والاستشراق - الكاتب الجزائري يستهويه الماضي -، نشر في: 2022/01/03

تم الاطلاع: 2023/02/03، <https://www.annasronline.com/index.php/2014>

(4) - أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979، ص132.

(5) - منى صريفق، المرجع السابق.

(6) - محمود شاكور، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 2005، ص13، 14.

(7) - محمد داود، عن الأدب والاستشراق، نشر في: 2022/01/03، تم الاطلاع: 2023/02/03

<https://www.annasronline.com/index.php/2014>

(8) - عابد لزرق، الأدب والاستشراق - حظ الأدب العربي من النبوءات قليل -، نشر: 2022/01/03

تم الاطلاع: 2023/02/03، <https://www.annasronline.com/index.php/2014>

- (9) - منى صريفق، المرجع السابق.
- (10) - المرجع نفسه.
- (11) - محمد داود، الأدب والاستشراف - الاهتمام بالأدب الاستشرافي شبه منعدم عربياً، تاريخ النشر: 2022/01/03، تم الاطلاع: 2023/02/03، <https://www.annasronline.com/index.php/2014>
- (12) - القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 14.
- (13) - محمد الأخضر السائحي، اقرأ كتابك .. أيها العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1938 ص 56، 57، 58، 60.
- (14) - المصدر السابق، ص 55.
- (15) - العلي فيصل حسين طحمير، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1995، ص 42.
- (16) - السائحي، المصدر السابق، ص 55-56.
- (17) - المصدر السابق، ص 56.
- (18) - نفسه.
- (19) - المصدر السابق، ص 60.
- (20) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 108.
- (21) - السائحي، المصدر السابق، ص 58.
- (**) - جبل المكمل امتداداً لسلسلة جبال لبنان الغربية، وهو أعلى جبل في لبنان، وتقع عليه أعلى قمة في بلاد الشام، وهي القرنة السوداء.
- (***) - ظفار هو الإقليم الجنوبي لسلطنة عمان، شهد ثورة في عقد الستينات وامتدت إلى نهاية عام 1975 حيث أخمدت كلياً، وكانت هذه الثورة تحمل إيديولوجية اشتراكية شيوعية، أهدافها تمثلت في إخراج البريطانيين من الجزيرة العربية واستقلال ظفار عن سلطنة عمان.
- (22) - المصدر السابق، ص 61-62.
- (23) - المصدر السابق، ص 63-64.
- (24) - علي بدر تميم، السرد والظاهرة الدرامية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2003، ص 124.
- (25) - عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات - مقارنة سيمائية / أنثروبولوجية -، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 222.
- (26) - السائحي، المصدر السابق، ص 64-65.
- (27) - المصدر السابق، ص 66-67.